مُقدِّمة

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الْمُرْسَلِيْنَ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ الضِّيَافَةَ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ ، وَمِنْ خِصَالِ الحَمْدِ ، مَنْ عُرِفَ بِهَا عُرِفَ بِشَرَفِ الْمَنْزِلَةِ ، وَعُلُوِّ الْمَكَانَةِ ؛ لأَنَّ بَذْلَ القِرَىٰ [١] فَوْقَ بَذْلِ النَّدَىٰ [٢] .

وَآدَابُ الضِّيَافَةِ سَجَايَا جُبِلَتْ عَلَيْهَا النُّفُوسُ الزَّكِيَّةُ ، وَشِيَمٌ طُبِعَتْ عَلَيْهَا الهِمَمُ العَالِيَةُ ، لا يَشْعُرُ الرَّجُلُ بِرَاحَةِ الضَّمِيرِ إِلاَّ عِنْدَمَا يَبْلُغُ فِيْهَا غَايَةً سَامِيَةً ، وَلا يَعْلُو مَقَامُهُ إِلا بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا ؛ لأَنَّهُ يَبْعَثُ عَلَىٰ إِجْلالِ صَاحِبِهِ ، وَامْتِلاءِ الأَعْيُنِ بِمَهَابَتِهِ ، والقُلُوبِ بِمَحَبَّتِهِ .

وَقَدْ حَاوَلْتُ جَاهِداً أَنْ أُنِيرَ سَبِيْلَ هَذِهِ الآدَابِ لِطَالِبِهَا ، فَإِنْ صَادَفْتُ تَوْفِيْقًا وَسَدَاداً فَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ ـ وَللهِ الحَمْدُ ـ ، وَإِنْ قَصَّرْتُ أَوْ غَفَلْتُ فَمَا كُلُّ الآدَابِ عَرَفْتُهَا، وَلا كُلُّ عِلْمٍ دَرَيْتُهُ ، والْمُدْلِجُ [٣] كَثِيْرُ العِثَارِ ، والصَّبَاحُ رَبَاحٌ .

وَالحَمْدُ للهِ أَوَّلاً وآخِراً ، ظَاهِراً وَبَاطِناً.

أبو عبد الله

فيصل بن عبده قايد الحاشدي

---

(١) القِرَىٰ ـ بالكَسْرِ والقَصْرِ ـ طَعَامُ الضِّيَافَةِ .

(٢) النَّدَىٰ ـ بزِنَةِ الفَتَىٰ ـ : السَّخَاءُ والجُوْدُ .

(٣) المُدْلِجُ : السَّائِرُ كَثِيْرًا .

الضيافة من مكارم الأخلاق

إِكْرَامُ الضَّيْفِ خَصْلَةٌ كَرِيمَةٌ ، تَحَلَّىٰ بِهَا الأَنْبِيَاءُ ، وَحَثَّ عَلَيْهَا الْمُرسَلُونَ، وَتَخَلَّقَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ .

قَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (٦٩) ﴾ [هُود : ٦٩] .

وَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلامٌ قومٌ مُنكرون (٢٥) فراغ إلىٰ أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧) ﴾ [الذَّاريَات : ٢٤-٢٧] .

وَقَالَ تَعَالَىٰ حَاكِيًا عَنْ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ ـ عليه السلام ـ قَوْلَهُ لإِخْوَانِهِ : ﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ﴾ [يوسف : ٥٩] .

أَيْ : خَيْرُ مَنْ أَكْرَمَ الأَضْيَافَ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَجْلَسَهُمْ أَحْسَنَ الْمَجَالِسِ ، وَأَطْعَمَهُمْ أَحْسَنَ الطَّعَامِ (١) .

وَقَالَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ حَاكِيًا ـ عَنْ لُوطٍ ـ عليه السلام ـ قَوْلَهُ لِقَوْمِهِ : ﴿ فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي ألَيس منكم رجل رشيد ﴾ [هُود :٧٨].

بَلْ أَنَّهُ عَرَضَ عَلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ يَتَزَوَّجُوا بَنَاتِهِ حِمَايَةً لِجَنَابِ الأَضْيَافِ ، وَحِفَاظًا عَلَيْهِمْ ، فَيَقُولُ لِقَوْمِهِ : ﴿ قال هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ﴾ [هُود: ٧٨] .

وَحَثَّ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ عَلَىٰ إِكْرَامِ الضَّيْفِ .

فَفِي « الصَّحِيحَيْنِ » مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) « فِقْهُ الأَخْلاقِ » لِلعَدَوِيّ (٢/٣٢٨) .

ـ ﷺ ـ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » (١) .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : خَطَبَ رَسُوْلُ اللهِ ـ ﷺ ـ يَوْمَ تَبُوْكَ ، فَقَالَ : « مَا مِنَ النَّاسِ مِثْلُ رَجُلٍ آخِذٍ بِعَنَانِ(٢) فَرَسِهِ ، فَيُجَاهِدُ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، وَيَجْتَنِبُ شُرُوْرَ النَّاسِ ، وَمِثْلُ رَجُلٍ بَادٍ(٣) فِي غَنَمِهِ ، يَقْرِي ضَيْفَهُ ، وَيُؤَدِّي حَقَّهُ » (٤) .

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٠١٨) ، وَمُسْلِمٌ (٤٧) .

(٢) العِنَان ـ بِزِنَةِ الكِتَاب : سَيْرُ اللِّجَامِ الَّذِي تُمْسَكُ بِهِ الدَّابَّةُ ، وَالجَمْعُ أَعِنَّةٌ وَعُنُنٌ .

(٣) بَادٍ أَيْ : نَازِلٌ فِي البَادِيَةِ ، وَبَابُهُ عَدَا .

(٤) « صَحِيْحٌ » أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٩٨٧) ، وَصَحَّحَهُ شَيْخُنَا الوَادِعِيُّ فِي « الصَّحِيْحِ المُسْنَدِ » (٦٣٧) .

حُكْمُ إكْرَامِ الضَّيْفِ

اخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْمِ فِي حُكْمِ إِكْرَامِ الضَّيْفِ : فَذَهَبَ الجُمْهُورُ إِلىٰ أَنَّ الضِّيَافَةَ مُسْتَحَبَّةٌ ، وَلَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ ، وَمِنْ أَدِلَّتِهِمْ :

قَوْلُ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ** » (١) ، قِيْلَ : وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ . قَالَ : « **يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ** » (٢) .

فَقَالُوا : الجَائِزَةُ لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ ، فَكَذَلِكَ الضِّيَافَةُ .

وَذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاءِ إِلىٰ الوُجُوبِ مُسْتَدِلِّيْنَ بِالأَحَادِيْثِ الآتِيَةِ :

■ قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ** » (٣) .

■ وَقَوْلُهُ ـ ﷺ ـ : « **وَإِنَّ لِزَوْرِكَ** (٤) **عَلَيْكَ حَقًّا** » (٥) .

■ وَقَوْلُ سَلْمَانَ لأَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رضي الله عنه ـ : « **وإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** » (٦) .

■ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قُلْنَا لِلنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ : إِنَّكَ تَبْعَثُنَا ، فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ لا يَقْرُوْنَنَا ، فَمَا تَرَىٰ فِيْهِ ؟ .

---

(١) الجَائِزَةُ : هِيَ العَطِيَّةُ والهِبَةُ وَالصِّلَةُ .

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦٠١٩) ، وَمُسْلِمٌ (٤٨) عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ رضي الله عنه .

(٣) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦٠١٨) ، وَمُسْلِمٌ (٤٧) .

(٤) الزَّوْرُ – بالفَتْحِ – الزَّائِرُ .

(٥) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦١٣٤) ، وَمُسْلِمٌ (١١٥٩) عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما .

(٦) « صَحِيْحٌ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤١٣) .

فَقَالَ لَنَا : « **إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ ، فَأُمِرَ لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوْا ، فَخُذُوْا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ** » (١) .

■ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: «**أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُوْمًا ، فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ** » (٢) .

وَالرَّاجِحُ مِنْ تِلْكَ الأَقْوَالِ ـ واللهُ أَعْلَمُ ـ: مَا ذَكَرَهُ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: « ثُمَّ الأَمْرُ بِالإِكْرَامِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الأَشْخَاصِ وَالأَحْوَالِ : فَقَدْ يَكُونُ فَرْضَ عَيْنٍ ، وَقَدْ يَكُونُ فَرْضَ كِفَايَةٍ ، وَقَدْ يَكُوْنُ مُسْتَحَبًّا ، وَيُجْمِعُ الجَمِيْعُ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ » (٣) .

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٤٦١) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٢٧) .

(٢) « صَحِيْحٌ » أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٩٤٨) ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي « الصَّحِيْحَةِ » (٦٤٠) .

(٣) « فَتْحُ البَارِي » (١٠/٤٦٠) .

هل الضيف حق في القرى دون الأمصار ؟ :

قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - : «القُرَى هِيَ مَظَنَّةُ الحَاجَةِ ، والأَمْصَارُ بِلادٌ كَبِيْرَةٌ ، فِيْهَا مَطَاعِمُ ، وَفَنَادِقُ ، وَأَشْيَاءُ يَسْتَغْنِي بِهَا الإِنْسَانُ عَنِ الضِّيَافَةِ ، وَهَذَا - أَيْضًا - خِلاَفُ الصَّحِيْحِ ؛ لأَنَّ الحَدِيْثَ عَامٌّ ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَأْتِي إِلَى الأَمْصَارِ ، وَفِيْهَا الفَنَادِقُ ، وَفِيْهَا المَطَاعِمُ ، وَفِيْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، لَكِنْ يَكْرَهُهَا ، وَيَرْبَأُ بِنَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهَا ، فَيَنْزِلُ ضَيْفًا عَلَى صَدِيْقٍ ، أَوْ عَلَى إِنْسَانٍ مَعْرُوفٍ ، فَلَوْ نَزَلَ بِكَ ضَيْفٌ - وَلَوْ فِي الأَمْصَارِ - فَالصَّحِيْحُ الوُجُوبُ .

قال في الروض : «وَلاَ يَجِبُ إِنْزَالُهُ بَيْتَهُ مَعَ عَدَمِ مَسْجِدٍ وَنَحْوِهِ (١) .

وَالصَّحِيْحُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُنْزِلَهُ فِي بَيْتِهِ ، وَلَوْ وَجَدَ مَأْوَى وَمَسَاجِدَ مَفْتُوحَةً ؛ لأَنَّ هَذَا مِنْ إِكْرَامِهِ ؛ لأَنَّ الرَّسُولَ - ﷺ - أَعْطَانَا كَلِمَةً جَامِعَةً مَانِعَةً وَاضِحَةً ، وَهِيَ : «فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» .

وَلَيْسَ مِنْ إِكْرَامِهِ أَنَّهُ إِذَا تَعَشَّى أَوْ تَغَدَّى ، تَقُولُ لَهُ : انْصَرِفْ !! .

إذا قيل : يَجِبُ إِكْرَامُهُ بِمَا جَرَتْ بِهِ العَادَةُ فِي طَعَامِهِ ، وَشَرَابِهِ ، وَمَنَامِهِ ، وَالحَدِيْثُ عَامٌّ (٢) .

---

(١) «الرَّوْضُ المُرْبِعُ» مَعَ حَاشِيَةِ ابْنِ قَاسِمٍ (٧/ ٤٣٩) .

(٢) «الشَّرْحُ المُمْتِعُ» (١٥/ ٥٠ - ٥١) .